بسم الله الرحمن الرحيم   (أحمد زكي يماني والإسلام والفاتيكان)

أكرمني الله بمقاطعة الجرائد والمجلات العربية ولو وُصِفَتْ بالإسلامية
لأنها جميعاً مبنية على الظنّ في أحسن الأحوال وقد ذم الله الظنّ
وأهله فقال تعالى: ﴿وما يتّبع أكثرهم إلا ظنّاً إن الظنّ لا يغني من الحق
شيئاً﴾ والصحف العربية مثل الدخان أكثر الناس يشربونه ويلعنونه كما قال
الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله بأنه رأى قارئاً للجريدة ضيّع في قراءتها ساعتين
من وقته الذي سيُسأل عنه فسأله عمّا فيها فأجاب: (تمرغي الجرايد ما فيها
شيء) فأسفت على ساعتين من وقت المسلم وبصره وعقله تُصرف في لا شيء.
لكن عدداً من الإخوة في الدين حتى في القسم يضعون بين يديّ ما يريدون لي النظر
فيه وبخاصة ما يتعلق بالتعدي على الوحي أو الفقه فيه أو أهله. ومنه:
أ- قبل أشهر حكى الأستاذ اليماني في جريدة المدينة قصة لا شك أن الخيال
فيها يطغى على الحقيقة (إن وُجِدَت الحقيقة) عن زيارة لبابا الفاتيكان، وفيها:
١) أنه زار البابا وقضى معه (ساعة وخمساً وعشرين كما قالت [illegible] إحدى
الصحف الإيطالية)، ولماذا الاهتمام بعدد الدقائق والاستشهاد بجريدة
مجهولة؟ ولماذا لم يذكر اليماني حصول هذا الشرف له قبل موت البابا؟ الله
أعلم، ولكنها طريقة الحكواتي في سرد الروايات، لا المحدِّث ولا الباحث الثقة،
وقد ركبها قبل اليماني الصحفي محمد حسنين هيكل تجاوز الله عنهما.
٢) أن البابا (مجاملة منه ومنّة) خرج معه ليحصل على هدايا له وأهدى التمر،
أنه يعلم (أنه من عادات المسيحيين أكل التمر يوم الميلاد)، وأنه علّم البابا أن
الأساس الديني لأكل المسيحيين التمر يوم الميلاد معروف لدى المسلمين
وهو أكل مريم الرطب زمن ميلاد عيسى فأنكر البابا ذلك ثم أرسل له اعترافاً،
فأظهر اليماني (الفرح والسرور لوجود أمر يشترك فيه المسلمون مع المسيحيين)
ولو صحّ شيء من هذه الرواية فليس من الدين أكل التمر يوم الميلاد في أي شرع لله،
وليس مما يُشرِّف المسلم اتفاق المبتدعة والمتصوفة المنتمين للإسلام مع المبتدعة
والمتصوفة المنتمين لدين المسيح عليه السلام (الكاثوليك بخاصة) على الاحتفال
بعيد المولد الذي أخذه مبتدعة المسلمين من مبتدعة النصارى، وقد حذّر النبي
صلى الله عليه وسلم من اتّباعهم فقال: «لتتبعنّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو
أنهم دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه»، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟» متفق عليه.
ولكن المنتمين للإسلام خالفوا أهمّ وآخر وصايا نبي الإسلام فاتخذوا قبور أنبيائهم
وصالحيهم كما اتخذها اليهود والنصارى مساجد، وما دون ذلك من البدع.

٣) أنه وُجد في مكتبة الفاتيكان مخطوطة واحدة (تستحق الذكر) مجهولة العنوان ومجهولة
المؤلف مقسمة إلى ثلاثة فصول: فصل في فقه العبادات، وفصل في الفلك،
وفصل في شد أوتار الآلات الموسيقية، وحمد الله على الجهالة في المخطوطة ومؤلفها
لئلا يلعنه ويلعنها العلماء بشرع الله والدعاة إليه على بصيرة الثابتون على
منهاج النبوة والصحبة والاتباع في الدين والدعوة الذين يدفعون عن شرع الله
ما ألحقه به المبتدعة وأهل الهوى من الفلسفة والتنجيم واللهو والتصوف.
وإذا بحث في الطب أو الفلك أو الفلسفة أمثال ابن سينا وإخوان الصفا
والخوارزمي واعترف بهم المستشرقون لم يجعلهم ذلك قدوة لعلماء ودعاة
الشريعة بل إن ابن سينا وإخوان الصفا والراوندي وأبي حيان أقرب إلى الزندقة
منهم إلى علوم الوحي والفقه في الدين ومثلهم كثير. ولا يمنع هذا من المساهمة
الدنيوية (لا الدينية) في ريادة الفضاء، وقد سبق العرب والمسلمين إليه أمير سعودي.
٤) أنه وجد في مكتبة الفاتيكان الخاصة (التي لا يدخلها إلا المحظوظون مثله) قطعاً جلدية
(قيل) إن عمرها يتجاوز (١٢٥٠ سنة) مما (قادهم) إلى (افتراض) أن الآيات (أو السور)
القصيرة (حسب رواية قاسم عن العوّا الذي حظي مثل اليماني بدخول المكتبة الخاصة) هذه
الآيات مما أخفاه بعض كتاب الوحي عن جامعي القرآن. يقول اليماني: (وهذا الافتراض مع كل
قرائنه يقترب من الصحة). من الذي قال؟ ومن هم الذين قادهم الجلد إلى الافتراض؟ وما
هي قرائن الافتراض؟ لعل الإجابة عن أحد هذه التساؤلات في بطن الراوي.
٥) فهم عدد من الغيورين على الإسلام وعلى القرآن أن اليماني يتهم القرآن بالنقص
فبادروا بالإنكار جزاهم الله خير الجزاء، وكما دلني إحسان الظن بأي مسلم مهما ظهر
من سوء عمله وقوله كما قال الله عن الضالين: (وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعا) أحسنت الظن باليماني فعزوت خطأه إلى سوء التعبير،
وليس من عادة الحكواتي والمهرج والصحفي والشاعر وكل المهتمين
برضا الناس أن يصرفوا همهم إلى الحذر من الوقوع في حمى الدين.
٦) وهبّ الصحفي عبد العزيز قاسم للدفاع عن (نفسه عن) اليماني وله الحق في ذلك
لولا أنه لم ير أكثر منتقدي اليماني بأنه اتهمهم (الإحسن الشخصي أو الحسد
أو الارتزاق أو الخفة غير صحيحة منهم أبعدهما عن شبهة ذلك) فالنوايا
والله وحده يعلم ما في صدور (المتهم والمتهم والمحامي) فلا يجوز الاعتداء على حقه.
٧) مدح قاسم اليماني بأنه (سليل أسرة علم وفضل) ولم يحفظ تاريخ المملكة
المباركة فيما علمت شهادة لأحد من هذه الأسرة بالدعوة إلى إفراد الله بالعبادة
ونفيها عما سواه ولا الدعوة إلى نشر السنة والتحذير من البدعة كما شهد للمعلمي وحمزة

ومحمد يوسف وعبد الله خياط رحمهم الله، ومجرد التدريس في الحرم لا يضمن العلم ولا الفضل فقد كان الإشراف على التدريس في المسجد الحرام ثم رئاسة شؤون الحرمين (قبل فتنة جهيمان) لا يمنع أحداً من التدريس ويكتفي بمراقبته، وقد جلست أكثر من مرة في حلقة في المسجد الحرام يدرّس فيها شيعي (اسمه محمد صادق) صحيح البخاري، ولم يك صادقاً في اتفاقه معي على أن طالب أهل السنة وطالب أهل الشيعة بعدم الحكم على المسلم باسم طائفته قبل التثبت من حاله، فطالبت ولم يطالب. ومنذ بدأت دراستي بكلية الشريعة في مكة المباركة عام ١٣٧٢هـ حتى تخرجت منها عام ١٣٧٦ كان أكثر المدرسين في المسجد الحرام ظهوراً شيخ كبير متواضع لا يتجاوز فضائل الأعمال من رياض الصالحين وبعد موته بسنين أظهر ابنه كتاباً لم ينشر الشرك الأكبر بمثله في مكة المباركة منذ قيام دولة التوحيد والسنّة حتى لقبه د. سفر الحوالي: (مجدد ملة عمرو بن لحي) في ردّه عليه، وبعد التمحيص أكد أحد أكابر العلماء وأقربهم أن المؤلف الحقيقي هو الأب، وهو بين حالين إما أن المؤلف الابن ولم تفده السلامة أو أن الأب فاجتمع الضلال في الاثنين وظهر في أحدهما أكثر من الآخر.

٨) ويفرح قاسم اليماني بأنه: (يمضي بقية عمره في خدمة كتاب الله عبر مؤسسة الفرقان) وليست لكتاب الله وشرعه نسبة من المؤسس والمؤسسة وأمثالهما، واليوم قدّم لنا اليماني أفضل وثيقة يخدم بها كتاب الله: قطعاً جلدية من مكتبة الفاتيكان تجمع ثلاث سور قصار مع فهم قاصر (كما يشير اليماني) للفلك ودورة الشمس والقمر، ومع بحث في سرّ الأوتار الموسيقية، ولقد حاولت تحذيره من صفقة خدعته النيّة على جهل وظنّة فلم يرض بمجرد الاستماع إلى تحذيري؛ فكتبت يومها إلى مكتبة الملك فهد بالرياض ثم زرت القائم عليها د. يحيى الساعاتي محذراً من التهالك على جمع المخطوطات والآثار الإسلامية تقليداً للغربيين، لأنه ليس يحيي إلا إلحاداً فلسفياً أو صوفياً أو إسرافاً في غير محله، بل هو تقرّب إلى الله بمعصية فليس من الشرع ولا من العقل شراء ورقة من المصحف على جلد غزال بالآلاف المؤلفة من الأموال التي استخلفنا الله فيها لننظر كيف نعمل؟ وقبل أن أودّع دخل المكتب اثنان ممن أرسلا إلى الخارج بحثاً عن المخطوطات الإسلامية وسألهما د. يحيى لعلكما وجدتما شيئاً؟ فأجابا: وجدنا الكثير ولكنه كله كتب صوفية، وظاهر أنهما لم يكونا من طلاب العلم الشرعي بل من المفكرين أمثال اليماني هداهم الله جميعاً.

٩) ويفرح قاسم اليماني (بماضيه الوطني الحافل الذي أثبته التاريخ كوزير)، ولا أظنه تاريخ في الوزارة مما يفخر به مسلم (أو عاقل غير مسلم)، قارنته بينه وبين

معالي المهندس عبدالله الطريقي رحمه الله أول متخصص سعودي في الجيولوجيا وأول متخصص في البترول ووزير للبترول وكان شوكة في حلوق شركات البترول والثروة المعدنية فكانت تتمنى زواله بالقريب الذي كانت تلعبه بالمع اليماني، وهو الذي أسس الأوبيك، وخرج من الوزارة بلا أملاك ولا أراضيه ولا قصور في الداخل ولا في الخارج وتسابقت دون أن يحصل ولو على قصر خاص قصد بعض الدول العربية على الاستفادة من خبرته، وكنت أرجو الله أن يميزه في أمر الدين كما ميزه في أمر الدنيا، فكانت يشابه المؤذن على الأذان في مسجده بالرياضة قبل موته، وكان أحد الشباب الذين وفقهم الملك سعود رحمه الله في اختيارهم لأداء حق هذه البلاد والدولة المباركة بما يليق بما ميزها الله به في الدين والدنيا. كانت شركات البترول تتلاعب بالأسعار بطرق الملتوية التي لا يسهل اكتشافها، ولكنه بشجاعة فكره ومثابرته واهتمامه بالصالح العام استطاع أن يكتشف تلاعبها (بالمملكة المباركة وللعالم) حتى أجبرها على تغيير طريقة تعاملها مع الدول المنتجة. وكان الطريقي رحمه الله يرى أن بقاء البترول في الأرض (وعدم التوسع في استخراجه بما يزيد عن الضرورة) هو في صالح البلاد والعباد فكان الإنتاج لا يكاد يفي بحاجة الدولة الحديثة الطموحة في عهد الملك سعود رحمه الله ثم قفز الإنتاج في وزارة اليماني أضعافاً مضاعفة وصاحب ذلك ما هو أسوأ منه: حث اليماني موظفي الدولة على الصرف، فكانت الإدارة المالية في وزارة المعارف مثلاً تحثنا على تغيير الأثاث بمبدأ أنه كانت لا تتوافق عليه.

وقارنه إدارة البترول (في وزارة اليماني) بغيرها فيما يتعلق بمحطات الوقود بكل دول الخليج تملك محطات الوقود وتضمن لها مستوى متميز من الخدمة والمظهر، وتضعها في مكان الحاجة إليها، وبدأت (بترومين) بإنشاء عدد قليل من المحطات دون مستوى المحطات الخاصة، فأخفقت وتركت السوق للأفراد وقراراتهم التي لا تحقق المصلحة العامة وتضر المصلحة الخاصة أحياناً، وكان عمال المحطات يتحكمون في تحديد ثمن الوقود بحيث لا تظهر الآلة عدد اللترات فكتبت إلى وكيل وزارة التجارة د. عبدالرحمن الزامل عدة مرات وكان سريع الاستجابة جزاه الله خيراً فعمل على مراقبة الأمر وإصلاحه.

وليسأل قاسم الصحفي نفسه عن محاولات اليماني إساءة سمعة دولة التوحيد والسنة في وسائل الإعلام الخارجية وليحاول قول الحق فالله سائله.

١٠) يروي قاسم عن اليماني (في مسلسل التلميع اليائس): (أنه لا يظن أنه آراءه في الفقه تختلف كثيراً عن آراء هيئة كبار العلماء) وأنه (بدأ دراسة الفقه الشافعي ثم بعده فقه المقاصد) وظني أنه لم يرضى الله عنه منهجاً خاصاً في الفقه مبنياً على فقه المقاصد،

وأن هذا الفقه مغاير لفقه النصوص، وأنه وصل للإمام) مالك ثم أصّله فقهاء
الشافعية) إلى آخر هذه الحكايات التي يبرع اليماني في سردها ليرفع
نفسه فيما يظن إلى مصاف العلماء، ويقول في شرع الله بغير علم
وراء ستار فقه المقاصد، وليس بمستبعد (إذا لم تُهذَّب حرية التعبير) أن
يتجاوز كل رويبضة حدوده، وأن يقول (أبوطمة المفكر والصحفي) ما يشاء
فيما يشاء وتشرئب أعناق الجهلة بشرع الله إلى آفاق العلم والعلماء.

١١) ويحرص قاسم الصحفي عن اليماني وصف لنفسه بأنه (شافعي المذهب
المالكي الهوى)، وقد يكون هذا أصدق ما في هذه الروايات فقد يكون
شافعيا بالوراثة (لأنه أمّي في العلم الشرعي) يسيطر عليه الهوى، أما الإمام
مالك فأبعد ما يكون عن الهوى، وأكثر ما يميزه تجنبه القول بالرأي
(الذي عُرف به الأحناف) والتزام بالنص وفقهه، ومثله الأئمة بعده:
الشافعي وأحمد رحمهم الله جميعا، وللشافعي رسالة في إبطال الاستحسان طُبعت
على حاشية الأم، والاستحسان هو أساس ما سُمّي بفقه المقاصد إذا
تعدّى عليه من ليس له فقه أئمة القرون الثلاثة بل ولا الشاطبي في القرن التاسع.

١٢) والفكر الإسلامي الذي ادعى قاسم الصحفي أن اليماني (يقوم فيه بخطوات
لافتة) أبعد به من دعوى العلم الشرعي، وقد حذّر منه كبار العلماء مثل د. بكر
أبو زيد شفاه الله وابن عثيمين رحمه الله ود. صالح الفوزان حفظه الله لنصرة دينه
؛ وهو مركب للشيطان للقول على الله بغير علم.

١٣) في المرات القليلة التي استمعت فيها إلى حكايات اليماني طريفة
(لأنها لا تتصل بالعلم الشرعي) فهو محدّث خفيف الظل وحكاياته مسلّية
مهما اختلط فيها الخيال بالواقع أو كانت من الخيال كلها، سمعته في الجزائر يحكي عن
الطوارق أنهم (شكوا إليه محو قبليه ترك بعض رجالهم الحجاب) أو (اللثام) المعروف.
وفي منزله بجدة تظاهر لي ولزملائي (وأذكر منهم د. محمد عمر زبير) أنه يتكلم مع الملك
فيصل رحمه الله بالهاتف وكأنه يتكلم مع أحد موظفيه وكنت وعدد من الزملاء نمثل
عدداً من الوزارات في التفاوض مع ممثلي دول أفريقية، ولقيته أكثر من مرة
مع د. صالح أمبه رحمه الله مؤسس كلية البترول والمعادن (نواة جامعة الملك فهد
بالظهران) واستمعت بنكاته المختلقة على د. صالح وزوجته، ولا زلت أشكر الله
ثم أشكره على محاولته أن أعمل معه بدأها الأستاذ/ عبد العزيز الشنيبر وكيل الوزارة
وأكدها هو، واعتذرت لهما بعجزي وعدم رغبتي في العمل الإداري، واقترحت أكثر من بديل
فاختير زميلي الأستاذ محمد القاسم، وفقه الله الجميع لما يحبه ويرضاه وهداهم لخدمة دينه.